" ومن أضل " معنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضلال كلم أبلغ ضلالا من عبدة الأصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر عل تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا وإلى أن تقوم القيامة وإذا قامت القيامة وحشر الناس : كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم في الدنيا بالاستجابة وفي الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم . وإنما قيل : " من " وهم لأنه أسند إليهم ما يسند إلى أولى العلم من الاستجابة والغفلة ولأنهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة . ويجوز أن يريد : كل معبود من دون ا من الجن والإنس والأوثان فغلب غير الأوثان عليها . قرئ : ما لا يستجيب وقرئ : يدعو غير ا من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها . ونحوه قوله تعالى : " إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة مكفرون بشرككم " فاطر : 14 .

" وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين " .

" بينات " جمع بينة وهي الحجة والشاهد أو واضحات بينات . واللام في " للحق " مثلها في قوله : " وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خير " الأحقاف : 11 ، أي لأجل الحق ولأجل الذين آمنوا . والمراد بالحق : الآيات وبالذين كفروا : المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق " لمل جاءهم " أي : بادروه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير إجالة فكر ولا إعادة نظر . ومن عنادهم وظلمهم : أنهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره في البطلان لا شبهة فيه .

" أم يقولون افتراه قل إن افتريته فلا تملكون لي من ا شيئا هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بيني وبينكم وهو الغفور الرحيم " .

" أم يقولون افتراه " إضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا إلى ذكر قولهم : إن محمدا افتراه . ومعنى الهمزة في أم : الإنكار والتعجيب كأنه قيل : دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضى منه العجب وذلك أن محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على ا ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة وإذا كانت معجزة كانت تصديقا من ا له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا . والضمير للحق والمراد به الآيات " قل إن افتريته " على سبيل الفرض عاجلني ا تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه

. فلا تقدرون على كفه عن معاجلتي ولا تطيقون دفع شيء من عقابه عني فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه . يقال : فلان لا يملك إذا غضب ولا يملك عنانه إذا صمم ومثله : " فمن يملك من ا شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم " المائدة : 17 ، " ومن يرد ا فتنته فلن تملك له من ا شيئا " المائدة : 41 ، ومنه قوله عليه الصلاة السلام : " لا أملك لكم من ا شيئا " ثم قال : " هو أعلم بما تفضون فيه " أي تندفعون فيه من القدح في وحي ا تعالى والطعن في آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى " كفى به شهيدا بيني وبينكم " يشهد لي بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود . ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء إفاضتهم " وهو العزيز الرحيم " موعدة بالغفران والرحمة إن رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا وإشعار بحلم ا عنهم مع عظم ما ارتكبوا . فإن قلت : فما معنى إسناد الفعل إليهم في قوله تعالى : " فلا تملكون لي " قلت : كان فيما أتاهم به النصيحة لهم والإشفاق عليهم من سوء العاقبة وإرادة الخير بهم . فكأنه قال لهم : إن افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة إلى عباد ا فما تغنون عني أيها المنصوحون إن أخذني ا بعقوبة الافتراء عليه .

" قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين "